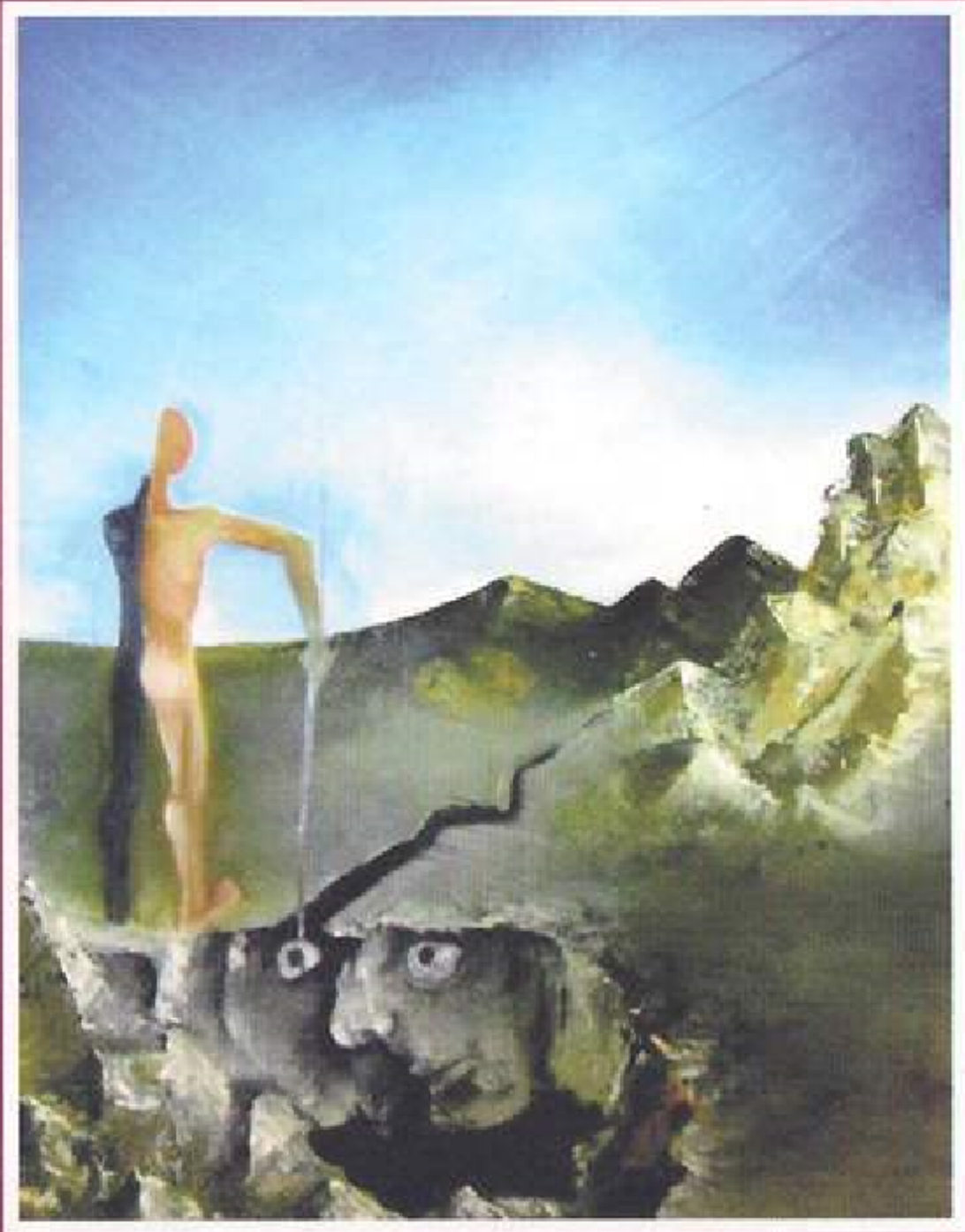


محمد علي إبراهيم

مقالية

أنت هزر.. ما دمتُ عبدِي!!!



عنوان الكتاب : أنت حرّ ما دمت عدي
المؤلف: محمد علي إبراهيم
الطبعة : الأولى 2015 م.
تصميم الغلاف : محمد عبد الغفور مصيلحي
لوتوغرافيا للغلاف الخلفي : محمد نجدي
التقيق : مصطفى جوهر
التقييم الدولي : 2015/21292
رقم الإيداع: 978-977-6512-14-6



قلمى للترجمة والنشر والتوزيع

11 شارع فهمي متفرع من شارع محد محمود- عابدين- وسط البلد
بجوار الغرفة التجارية – أمام سنترال عابدين
هاتف لرضي : 0227930487
موبايل 01004374075

مكتبة قلمى للتوزيع

الأمارات – الشارقة – شارع الملك عبدالعزيز
هاتف : 0097165646628
فكس : 0097165598961
موبايل : 00971556917994

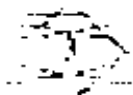
<https://www.facebook.com/Qalmibookstore>
twitter.com/Qalmi_Book_Cafe

أنت حرّ ما دُمت عبدي!!!

المتتالية :

إهداء صفحة 5, حياة صفحة 7,
شجرة الرمان صفحة 13, طائر
الهدد صفحة 19, جبل النور صفحة
25, حديث السفينة صفحة 33,
غراب أسود صفحة 45, فالتقمها
الحوت صفحة 53, خرافُ الرب
صفحة 61, ثم قصي؛ فتدني!!
صفحة 69 وسدرة المنتهى صفحة

75



أنتِ حرٌّ ما دُمَّتْ عَيْدِي!!!

إهداء:

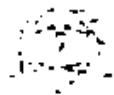
منحَّتْهَا السَّرَابَ فَمَنَحْتَنِي الْحَقِيقَةَ

كُنْتُ / كَانَتْ! فَكَانَ الْكُونُ



أنت حرّ ما ذمت عبدي!!!

1. حياة



حدث أن افترقنا وكان الجو يميل إلى شتاءٍ لم يأت
- كما اعتقدنا - في موعده. ولوجهينا علامات
تُظهرُ - في غير ريبٍ - أننا أجبَةٌ.....

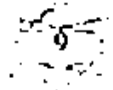
كنا مشغولين تمامًا: من مئا السماء ومن البحر
وهل ينقص من قنري أن أكون بحرًا ولستُ بسماء
والعكس؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

أنت حرّ ما دُمتَ عيدي!!!

قال لي شيخي مبتسماً: هب أنك ما شئت.....
لكلّ منكما فلّكه وناموسه الخاص، فلا ترهق نفسك
فيما ليس لك!!!!

أردتُ (الحديثُ هنا على شفقتينا - أنا مالك وهي
اسما-) أن أكون بحرًا وليّ الموج، السمك، الغد،
الجذر، حملُ السفن بما تحمله من ناس وضياع
ومن بحارتي فليس له مني سوى الملح.

إيييييييييييييييييييييييه أيها البحر/ أنا، ما هذا
السلطان وهذا الزهو وكانت سماء ترقبني في بيه
بمحابها، طبرها، شمسها، قمرها ويرقي ورعد...



كانت السماء تبدو أكثر عمقاً من البحر فأردت
(الحديث هنا على شفقتنا - أنا مالك وهي أسما-)
أن أكون سماء؛ فكُنْتُ؛ ففرحت؛ فدمعت عيناي
فرحاً فسقط الماء - مائي - على البحر فازداد
البحر اتساعاً بمائي الذي لم يصبح لي، فزاد ملك
البحر عن ملكي قطرة ماء....

قُلت: لا.. أنا البحر؛ فخرجت شمس من رحم
السماء مرسلة شعاعاً قوياً، فتبخّر بعض مائي،
فقلّ ملكي وازداد - كما كنت أرى في جهل - ملك
السماء

أبت حرّ ما دُمتِ عدي!!!

لم تتفق رغم كوننا من ماءٍ واحدٍ فحدّث أن اقترقنا
فكان أن كان واحدًا منّا سماءً و الآخر بحرًا.

حين انفصلنا كانت المسافة شاسعةً بما يكفي لأن
تظهر الأشجار، الجبال والطير راسمين أفلاكنا أخرى
للوجود

رغم ما مرّ من زمن لم نستطع إخفاء حُبّ لا يموت
ولو جنّتنا زُرقةً واحدة، ولقد هممنا بالاقتراب فكان
شيخنا حائلًا رقيقًا - بحقه الطير- وصيف رائع بدأ
بضرب ناموسه على الكون!!!!!!!!!!!!!!



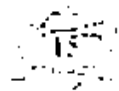
أبت حراً ما ذمت عدى!!!

2. شجرة الرمان



أنتَ حرٌّ ما دُمتَ عبدي!!!

أنا شجرة الرمان، التبتُّ الأول في المسافة بين
السماء والبحر.. جذوري ضربتُ بها بقوة حتى
اتصلت في عمق الأرض بماء البحر، وفروعي -
أنا العالية - تتراقص أوراقها بين أحضان السماء.



في البدء - الحديث هنا على شفقتنا؛ أنا مالك وهي
أسما، وأنا في جبل من إخباركم من منا البحر وأبنا
السماء - كانت شجرة زمان صغيرة وكان الربيع
متأججا في هذا الكون، حين وخرنا الصق، أرسلت
السماء قطرة من مائها، وكذلك البحر؛ فاستقرت
القطرتان - بعض دمننا - على ثمرة زمان عجوز،
وحين شممننا رائحة شيخنا؛ انزوت القطرتان بداخل
شق صغير بقشرة هذه الثمرة التي كانت تبدو ككرة
لم تكتمل استدارتها.....

كان يفصل بيننا - نحن القطرتين - جيوش من
خب الرمان، كانت الجيوش ترقبنا وكنت خجلى بما
يكفي لأن اتلون باللون الأحمر، وكنت ثائرا بما
يكفي لأن تتلون قطرتي بلون دمي الأحمر، الذي

أنت حرّ ما ذمت عدي!!!

يفضّب من محاولات تلك الجيوش لإبعاده عن
محبوبته.....

كانت المسافة بيننا - بداخل ثمرة الرمان - بعيدة،
فبذلنا الكثير من الجهد حتى نلتقي؛ فتساقط نمنا
غزيراً، مما أكسب حبّ الرمان حُمزته (حبّ الرمان
لم يكن في الأصل أحمر؛ إنّما من أسبقنا عليه هذا
اللون من نمنا) وحين التقينا ذهب الخريف عن
فضاء ثمرة الرمان وصار الربيع عازفاً أوحد.
رنت شبخنا على ثمرة الرمان، فالتام الشرخ،
وصارت ثمرة بغير سوء.



انهبى أبتها الشجرة إلى حيث تشائين بداخل
الأرض، مقتريةً من البحر، أو في عنان السماء،
ولنا أن نحمل السِرَّ وحدنا!!!!

كانت شجرة الرمان تتصاعد عمقاً وطولاً، وكنا
سعيدين بهذا الربيع، وثمة عاشقان يتهجان
حروفَ كتابهما الأولى، بمضيان - دون أن يدريا -
وفقاً لقانون جانبية العشق باتجاه شجرة رمان
عتيقة يجلس بأسفل منها شيخ ضريع، وطائر -
تسمونه الهدد - يحلق عالياً...

أنتَ حرّ ما دُمتَ عندى!!!

3. طائر الهدد



أنتَ حرٌّ ما دُمْتَ عدي!!!

كُنَّا - كبحر وسماء - نحب ذاك الهدد: أول من
خلَّ - من الطيور- بين فضاء المسافة بيننا؛ كان
يلامس بجناخيه السماء، ثم يهبط فوق الأرض
متلعبنا بعض الماء، فيستشق البحرُ عهز السماء
من بين جناخيه ثم يعود - الهددُ - مُحلِّقًا في



السماء، مُحَمَّلًا بقطرات مياه، هي بعض من دم
البحر تحاول معانقة دم السماء....

طال الغياب - هذه العزّة - وحين عاد كان يمضي
بأسفل منه - صوب شجرة الرمان العتيقة -
عاشقان تغانق كفاهما، فنار شتاء الحب في
وجنتينا (أنا مالك وهي أسما)، كان الهدهد يتصبّب
عرفًا غزيرًا من أثر رحلته مُتَقَفِنًا أثر هذين
العاشقين؛ كانا ولذا أسمرّ وبتنا بيضاء من غير
سوء.

شيخنا (الضريّر) كان يمد بصيرته - باتجاهنا -
ضاحكًا، وكنا نرى في عيني الهدهد خبز
العاشقين.....

أنتَ حرّ ما دُمتَ عبدى!!!

للهدد جناحان، بطن الأبيض والأسود - كلون
الحبيبين - سطوتهما على الريش المكوّن لهما،
كان الأبيض والأسود - على أطراف الجناحين
القسيّة - متباعدين، فكان لزامًا عليهما بذلُ
الجهد، ومقاومة الخريف حتى يتعانقا فوق قمة
الجناحين النثية.

الولد المنهك والبنت الهاربة - من جنة أبويها -
كانا - في عيني هدهلنا - بقاومان شتاء الهجر،
والجيوب الفارغة بصيف اشتعل في الفراغ الضيق
- كصحراء تجد - بين كفيهما المتعاقبتين كحبيتي
رمان اندمجتا، فتشكلتا حبة رمان، هي أحدث أبناء
شجرة الرمان العتيقة، وحين باغتهما الشيخ - وهو
يتكى على عصاه العتيقة - بثمرة رمان مكتبلّة



النُضجُ أعلن الربيع سطوته على المكان فديت
الدماء في وجنتي عاشقينا، وكان الهدد - قبل أن
يرتد طرفنا - يرسل بعضنا منا إلينا في رحلة خاطفة
بين السماء والبحر.

نظرنا (أنا مالك وهي أسما) إلى فلبينا وهو يدق
عنيفاً - في سطوة الربيع الرائعة - وولّد وبنّت
يتكنان على شجرة رمان عتيقة باتجاه البحر
والسما، عيونهما ممزقات، يحفهما طائر الهدد
- الذي علونا عن غيابه كمرة أخيرة - وشيخ لم
يكمل ابتسامته بعد أن استشرف، عجز عيون
الهدد؛ الصحراء بدأت زحفها مطاردة للعاشقين،
فهم الشيخ بإخراج كتابه ليطلع العاشقين كيف
بينان السفينة!!!

أنتَ حرّاً ما دُمتَ عبدي!!!

4. جبل النُّور



بت حرّ ما دمت عيدي!!!

كلحية مقلوبة كئبة لشيخ هريم وقور كان يبدو جبل
النور؛ حين بدأ في النُبتِ على أرضنا - تاركنا
أطرافه تلامس نقطة التقاء الأرض بالبحر، ورأسه
تستطيل محاولة معانقة السماء - كنا أنا وأسما
نخاف منه، فخاف - مثلنا - الياقون: العاشقان،
طائر الهدد و.....



كانت الشمس تسقط على أحجار جبل النور
الحمراء بأشعتها الصفراء كصحرائنا، فيبدو الجبل
كقطعة من بركان، ولأنتا كنا (نرى)، فخفنا منه
بينما ذهب شيخنا (الضريير) متكئا على عصاه -
بجانبية بصيرته - باتجاه الجبل، ووقفنا نرقب
شيخنا وهو يريث بيديه على جسد الجبل دون أن
تحترق بداه!!!

ذهب العاشقان خلف شيخنا - بجاذبية المعرفة -
فوجدوا الجبل الذي كنا نظنه قطعة من الجحيم باردا
كشتاء ليلة حاتية....

بدأ العاشقان يرتقيان الجبل صعودا يتبعهما طائر
الهدد وقلباتا، وحين نلغا إلى الغار الذي أخذ

أنتَ حرٌّ ما دُمْتَ عبدِي!!!

تجويله مكان القلب تماما أجلسهما الشيخ، وبدأ
يتلو كتاب الحياة وكنا - الحديث هنا على شفطي
أنا أسما - نرقب الزفاف الذي بدأ في الهطول،
فأتحسس إصبعي الذي لم يهنا بضعاق أبدني مع
خاتم مالك وكنا - الحديث هنا على شفطي أنا مالك
- نرقب العرس، وقلبي تنهكه لحظة أن ابتعدنا أنا
وأسما وكنا - الحديث هنا على شفطينا - نرى في
العاشقين صورة منا ففرحنا لاتمامهما ما عجزنا -
حتى الآن - عن بنائه، وخرج الشيخ يتبعه الهدهد
تاركين الغاز للعاشقين، وحين اقتريا، ازداد الجبل
ألقا، ومد جذوزه في أرضنا حتى لامن جنور شجرة
الرمان، فارتجت الشجرة، وتراقصت فروغها مثيرة
شئاء رائع لم ينطفي، حتى خرج عاشقانا وفي
إثرهما أطفال؛ ازداد بهم الجبل نورا، وكان الأطفال



- بجانبية الحياة - يخبون باتجاه الشيخ الضريد،
والجبل يرمي أوتاده في الأرض؛ عليها الأرض لا
تقلب بمن عليها.....

أمسك الشيخ ببعض الأولاد، وغرسهم في الأرض
وبين ثنايا دروب الجبل، وأشار إلينا - كبحر
وسماء - فارس البحر بعضنا من مائه - بعد أن
تحل من ملحه - إلى السماء - بجانبية الشمس
- التي ألقته إلى الأرض، فنبتت أزهار وثمار
وخراف، بدأت تملأ الأرض، مما تسبب - كما
أخبرنا الهدد - في ازدياد غضب من تشتت في
الصحراء التي تجاورنا. والجبل يصعد بنوره ليملاً
كوثنا. وكان للعاشق يحاول الصعود لقمّة جبل
النور، وحين وصل كانت تبدو عاشقته - في قاع

أنتَ حرٌّ ما دُمْتَ عدي!!

الجبَل - كبنرةٍ يَكسوها النور، فألقى عليها بيمناه
السلام، بينما يمسراه تحاول ملامسة السحاب - مما
أثار حنق البحر قليلاً، كحنق السماء لمداعبة
العاشقة البحر بساقِها - والتلتنا - جميعاً - نسال
الجبَل - في غير ملل - عن أصل الكون بينما
الشيخ يطم الغنّة أبجدية الحياة.....



أنت حرّ ما ذمّت عدي!!!

5. حديث السفينة



أنتِ حرّ ما ذمّتِ عدي!!!

جاءنا - بعد غيابٍ ليس بالقصير - طائرُ الهدوءِ
راكضًا فوق السحاب. وعيناه الجاحظتان كانتا
تحملان خبز المشيئين في صحراء التاريخ...



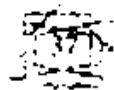
ما إن دبَّت الحياةُ على أرضنا، فانتشرتِ الثمارُ
والخرافُ، ونبتت شعيراتُ في وجوه الأولادِ مطبئةً عن
ربيعِ سيملاً الأرضِ صحبنا، حتى تملك الذعرُ قلوبَ
المُستئين؛ ازدحمتُ منازلهم بأسلحةٍ يقفُ خلفها
جيشٌ لا لواءَ له، سوى كتابِ الخريفِ، قالوا مِن
فوقِ منايرهم عن خطرٍ سيعصفُ بهم إن تقابلتما -
أنتِ مالكٌ وهي أسما - في عناقِ أبدِيّ مستحيل!!!

نظرنا - أنا أسما وهو مالك - فالتقت عيوننا الزرقُ
كلون السماءِ ووجه البحرِ باتجاهِ هدهدنا، وحين
حنَّ الليلُ ضممتُ الأولادِ بيدٍ واحدةٍ إلى صدرِ
العاشقين، وكانت الأخرى في قبضةِ كفي مالكِ،
الذي راحت عيناه باتجاهِ شيخنا الضريرِ الذي بدا -
رغم السكونِ وخولنا - هادناً وعصاهُ ينقُ بها على

أنتَ حرّما ذمتَ عدى!!!

الأرض في حنانٍ كهددة الأم لرضيعها، فارتعشت
الأرضُ مبتهجةً بذلك الدبيب الذي سرى في
أوصالها ممتدًا لشاطئ البحر الذي انتقل بدوره -
بفعل التقاء كفي وكفيها أنا مالك وهي أسما -
للأولاد الساكنين - وخرافنا - حضناً للعاشقين.

كان الصباح وكان الشيخ يقف بجوار شجرة الرمان
العجوز وحوله الأولاد، رفضنا - كما رفض شيخنا
- في مجلسنا النهاري أن يذهب العاشق ليشتري
أسلحةً لنا، فهذا خارج عن قانون أرضنا، كما رفض
العاشق - بالطبع - ونحن أن تذهب العاشقة فوق
جناح طائر الهدد لتقنع المشتتين بأننا لا نمثل
خطرًا على الكزة التي بدأت تكمل استدارتها.



أشار الشيخ إلى شجرة الرمان، فبدأ الأولاد
يقطعون جزءًا من جذعها الضخم في قسوة تليقُ
بشيخ رقيق؛ فبكتُ أسما بينما كنتُ أساعدُ العاشق
في نبح بعض الخراف، علّه اللحم يساعد الأولاد
في حربهم الأولى. حين التفتُ أنا مالك لبكاء أسما
حزنًا على الشجرة وخراف الأضحية، كان الشيخ
يرت على كتفها ويسألها الانتظار كثيرًا، والروية
قليلًا...

بدأ الشيخ - والريخ القادمة بدأت تحمل قليلًا قليلًا
رائحة الممتئين، وبدأ الأقق مستجيبًا للخريف -
يرسم بعصاه على الأرض شكلًا لبناءٍ خشبيّ ضخم
أطلق عليه اسم "السقينة"، والأولاد ونحن أنا أسما
وهو مالك وطانر الهدهد وما تبقى من شجرة الرمان

أنت حرّ ما ذمت عدي!!!

- التي تجاوزت محنتها في صمود عجيب - وما
تبقي من الخراف نلتفّ حوله ونستمع في اندهاش
لما يقول، كلنا كنّا حوله - شيخنا - عدا العاشقين
اللذين كانا في كهفهما بداخل جبل النور، ولن
يخرجا - كما أمر الشيخ - إلا وبين أقدامهما
المزيد والمزيد والمزيد من الأولاد.

بدأ البناء، وشجرة الرمان تمدُّ لنا طواعيةً أخشابها،
والخراف سعيدةً باستقرارها في بطون الأولاد، وراينا
العضلات تقفز في خريطة أجسامهم، وكنا ننتظر
الربيع لكنه الشيخ قال بأن الخريف القادم لا يقضي
عليه سوى شتاءٍ عاصف!!!



كانت السفينة تبدو كبناء أسطوري، والأولاد الذين
خرجوا مع العاشقين انضموا مع سابقهم، يجرون
السفينة حتى استقرت السفينة على ساحل البحر.

كانت السفينة ثقيلة على جمدي، وكانت السماء
تغاز من السفينة التي التصفت بالبحر دونها،
فحملت السماء بعض السحاب إلى صدرها؛ عني
أغاظ قليلاً، فضحك الشيخ الضريز كثيراً، لكن الليل
أتى برائحة كريهة، وطائر الهدد تشير عيناه إلى
جيش غليظ يقف على أعتاب جبل النور...

كانت ملامحهم ورائحتهم وأسلحتهم أسباباً كافية
لنكرهم، وكانوا كثيرين كموج طوفان بشريّ قاتل.
وقف الشيخ أسفل شجرة الرمان ممسكاً بعصاه

انت حرم ما دمت عدى!!!

كما يمترو بقود أوركسترا الطبيعة، وأشار بعصاه
فذهب الأولاد جميعهم بداخل شقوق وكهوف جبل
النور، والعاشقان بأعلى قمة الجبل وأنا وأسماء، كل
منأ بمكاته، وكانت أرضنا تبدو في سكون لا يليق
بزمجرة طوفان المشتئين.

حين دخلوا أرضنا ولم يجدوا - كما انباتهم عيونهم
التي لا ترى - مقاومة؛ ضحكوا كثيرا فخرج من
أفواههم خريف بفيض، أشار الشيخ بعصاه فبدأت
الموسيقى عزفها؛ ذهب الأولاد كلهم إلى طرف جبل
النور الذي يلامس البحر، فارتكز الجبل - بقعل
وزن وثقل الأولاد - على هذا الطرف، فاختل ميزان
الأرض، وحين استفاق المشتئون مما يحدث كانت
الأرض تقذفهم، وأساحتهم في الهواء، فبدأت



السماء في ضرب مؤخراتهم، حتى سقط الطوفان
بداخل السفينة، والشيخ يعزف سيمفونية لها بريق
الآلات النحاسية، فجاء الشتاء لينسحب الخريف
قليلاً، وعصف الموج بالسفينة، وكان الثقل يزداد
على صدر البحر؛ حتى وصلت السفينة عمق
البحر؛ أشار الشيخ بعصاه للسماء، فانفجر البرق
والرعد؛ لتحترق السفينة والطوفان، وانفتح البحر
قبراً ومستقراً للمشتكين الذين تفخّموا في تلك
المحرقة الموسيقية الرائعة...

حين استقرّ المشتكون في قاع البحر، وعاد جبل
النور لموقعه، حتى تتزّن الأرض تحت قدميه؛
همنا بدقّ طبول الانتصار، وكنا سعداء أنا مالك

أنت حرّ ما دُمت عبدي!!!

وهي أسما بذاك البرق والرعد، الذي خرج من
السماء باتجاه البحر في مصافحةٍ أولى منذ افترقنا.
كان الشيخُ بأسفل شجرة الرمان والأولاد حوله
يحذرهم من اختلاط البحر بدماء المشتئين الذين
استقرّوا في قاعه السحيق.

انت حرم ما ذمت عندي!!!

6. غرابٌ أسود



أنت حرّ ما ذمّت عهدي!!

كانتا أول ما أنجب العاشقان من البنات وخرجتا -
كتوامين - عن بطن أمهما إلى ظهر أرضنا - أنا
طائر الهدد من يحدّثكم - قبل الطوفان بربيع
ونصف ربيع.



لحوراء حُسنَ كان يغيظ أسما في غيرةٍ تليق بأنثى،
وكان مالك مهتمًا بصراع الأزرق والأسود بعيني
شهلاً، بينما كان خلون - أول من أنجب
الهاشقان - متيماً بكتاب الشيخ وتعاليمه؛ كان
الشيخ يحدثُ خلونَ عن معنى الحياة وعن فلكي
أصاب مالكا وأسا لظهور الشعر الأبيض على
جسدي العاشقين...

البحرُ - بعد أن التحم بقيعانه رمادُ المشتئين -
صار محوراً في حكايات الأولاد ليلاً - بعد أن يذهب
الشيخ ليتفقد الخراف، ويحصي عدد الشعرات
العوداء والكمستانية الصامداب أمام غزو منطقي
للشعر الأبيض برأسي العاشقين - وكانوا يريدون أن
يكشف لهم الشيخ العيز عن حديثه المكرر أخيراً

أنت حرّ ما دُمت عهدي!!!

بالأ يتعاذوا في السباحة حتى العمق، حتى جبل
النور بضخامته، حذره الشيخ من الاستمرار في مذ
جنوره بداخل البحر كثيراً.

مرض العاشقان، وكاتا ينظران للشيخ وهو يخبر
خلدون بضرورة زواجه من إحدى التوأمين، حتى
يكمل ما بدأه العاشقان، نظر خلدون للشيخ يطلب
منه العون في الاختيار بين حوراء وشهلا، فرمى
الشيخ الضرير ببصيرته صوب عيني - أنا الهدهد
من حدثكم - فذهبت بعيني باتجاه البحر، والليل
يرمي بشعره الأسود على أرضنا التي ما زالت
بيضاء إلا قليلاً.



انتقل الحديث بين الأولاد من غواية البحر، إلى حديثهم عن أيّ البنّتين سيتزوج خلدون، بينما تركهم ولدٌ وحيدٌ - وُلد بصيفٍ سابقٍ - وحيداً، وذهب للشيخ يسأله عن معنى الزواج، فريت الشيخ على كتف الصبي يقرأ له الكتاب.

حين خير الشيخُ خلدونَ بين حوراء وشهلا؛ دخل خلدون للكهف يسأل جبلَ النور العونَ، بينما شهلا - وعيناها الساحرتان وقد اقتسمتا زرقَةَ البحر في واحدةٍ، وغضبَ السماء حين تسوّدُ في الحديقة الثانية- أخذت حوراء نشاطين البحر بعد أن استسلمت - حوراء - لروايات الأولاد عن تفاحة البحر، وحين لامست قنماها البيضاء ماء البحر

أنت حرّ ما ذمت عبدي!!!

أدار الشيخ ظهره - فاندھشت أنا طائر الهدد من
بحدثكم - بينما لمعت عينا شهلا ببريق عجب.

قالت حوراء بأنها لا تجيد العوم وقالت لها شهلا
بأنها حين تعود بتفاحة البحر، سيفرز خلدون
ليلتقطهما - التفاحة وحوراء - كما قالت لحوراء
بأنها لا تحب التفاح، فهنيئاً لك بخلدون، وكانت
عينا شهلا تبرقان كأننى أجابت المكز، وكان خلف
عينيها صورة تحفظها جيذاً لخدون وعضلاته
المفتولة، وأظنه المذبذب، الذي يستطيع اقتفاء ثمرات
الرمان اليانعة من مسافات بعيدة...

ذهبت حوراء لعمق البحر، وشهلا تطرق باب
الكهف بعد أن فقد خلدون أول فرصة للاختيار،



والأولاد بصطفون ما بين بابك على حوراء - جنبية
البحر في قصصهم في الليالي القادمة - وفرح
بحلوى الزفاف الأول.

قالت له سهلاً: إنها تحبه، وكان الشيخ الضرير
يطلقُ باب الكهف خلفهما، والعاشقان يقاومان
مرضهما الأخير، لكن سقوط حوراء أتجهما كثيراً.

كان الصبي الوحيد يرسم على الأرض صورةً لغراب
أسود، والشيخ يلقى صفحةً من الكتاب بيد، ويده
الأخرى يشير للأولاد ناحية شجرة رمان بدأت تخرج
من جانب الشجرة الأم، ورأينا في تلك الليلة شتاءً
ممتزجاً بخريف.....

أنت حرّ ما دُمتَ عبدي!!

7. فالتقمها الحوت



أنت حرّ ما دُمتَ عدي!!

أنا أسما من تحنّيتكم، رأيتُ حوراء ولم يصبقتني
مالك حتى أبصرها معي...

حين أدار الشيخُ ظهره للماء وهو يعانق ساقني
حوراء؛ ابتسم - الشيخُ - وحكُّ نَفْته بينما حوراء



أغمضت عينيها لتسبح في فضاء البحر مستسلمة
لغوايتها؛ حوراء ظننت أنني البحر - أنا مالك من
بحبتكم - فذهبت - عكس ما تظنون - طواعية
لبراج ظننته براحي.

أنا حوراء: أنتي الصحراء، أعشق البحر، ولدت
وقلبي لمالك، هو الحب - سيدتي - أسما، لست
لصبة؛ أنا العاشقة النبيلة، ذهبت للبحر باتجاه
مالك، وشهلا للصحراء...

كنا صغارًا نستمع للشيخ الضرير، وما إن يذكر
اسمك يا مالك حتى أخرج عن مدار الصحبة تمامًا.
لم تكن ملتفتًا إلي، كنت مهمومًا بالريح التي تأتي
عاتية، ثم تتحول لنسمة صيف تحت فني أسما.

أنت حرٌّ ما دُمْتُ عبدى!!!

وأسما - بالطبع - كانت سعيدةً بغيرتك عليها،
وكانت أكثر سعادةً بعدم انتباهك لقلبي...

شيخي، كيف تركتها تحبه هكذا، أوليس لك سلطان
على القلوب؟؟؟

مالك لي أنا وحدي، رفضتُ - وأنت تطم - الريح
لأجل عينيه، فهل سيرفض حوراء لأجلي؟؟؟؟

أنا طائر الهدد - من أعلى شجرة الرمان العتيقة
أحرس ثمرة رمان ناعمةً تثبت في هدوء، وعيناي
باتجاه كهف العاشقين بقلب جبل النور - أحذركم،
حوراء أنت شيخنا في كامل زينتها، كهروس بحر
فاتة، تطلب أن تشاهد مالك، وكان اليوم لا ينتمي
لخريفٍ أو لصيف؛ كان اليوم رماننا كشيخي.



ضرب الشيخ بعصاه الأرض في هدوء ليرسم قلبًا
يحتوي قلبًا آخر، وقلبًا ثالثًا يقف ليس يبعد
عنهما، قلب حوراء أراد أن يتجاوز المسافة،
ويخترق القلب بحثًا عن زاوية يركن إليها، لم
تستطع حوراء أن تتلهم الشيخ الضرير الذي بدا
حزينًا بعض الشيء وهو يرسم بعصاه - بعد أن
مضت حوراء باتجاه غوايتها، وشهلا التي لا تبصر
المشهد سعيدة باقتراب خلدون منها، وأما كانت
قائمة بشكل مذهل وهي ترقب كتاب الحياة، ومالك
كان رماديًا كعيني شيخنا الضرير - حوتًا ضخما
سقطت عليه - بغير إرادتي، أنا الهدهد، وربما
بفعل الريح أو فرع غضب من شجرة الرمان - ريشة
بيضاء من جناحي الأيسر - ولن أنكر استسلامي
- مما أكسب الحوت بيضا ثلجيا دافئا وهو يفتح

انت حراً ما ذمت عدى!!

فمنه بحجم حوراء، التي ذهبت سعرة لبطن الحوت،
وداعبت أسنانه/ أسوار سجنها، وألقت قبلة هادئة
لبحر تظنه حوراء مالكا، فصار البحر سماء
والسماء بحرا.

انا مالك من حديثكم، ذهبت حوراء كما أراد شيخي،
لست أملك سوى المثل، كما ان قلبي ليس لي،
فقط لأنني أدرك وخز القلوب؛ أشفقت عليها، كما
كانت فرصة رائعة لأرى أسما كما لم أبصرها من
قبل.

الصبي الذي ولد بصيف سابق جلس بأسفل جبل
النور - بعد أن عاهد الشيخ على حفظ السر حتى
حين - يرقب الحوت وهو يخرج نافورة من الماء /



ذم حوراء من أعلى ظهره، لتلامس السحاب ثم
تعود باتجاه البحر، وخذون بخرج من جبل النور
حاملاً أول أبنائه/ خراف الرب، والعاشق يلقي آخر
حيات التراب فوق قبر العاشقة، وكان يبكي كما لم
نبك جميعاً - أنا الضريز من يُظلمكم - من قبل
وكان الماء كافياً لتضج ثمار قبل موعدها
قليلاً.....

أنتَ حرّما دُمتَ عبدى!!!

8. خِرافُ الربِّ



أنتَ حَرَمًا ذمتَ عبيدِي!!!

وُلِدَ - وحيدًا - بصيفِ سابقٍ، انتظرَ عشرين
أمشيرًا، ويضعةَ ربيعٍ، ليأذنَ له شيخُ ضريزٍ أن
يسوقَ الخرافَ لمراعِ بوادِ ذي زرعِ خلفِ جبلِ
النور...
...



أنا مالك من يحدثكم: لي عين ترقب الصبي الذي
صار رجلاً وأخرى مثبتة باتجاه العاشق الأرملة الذي
ما زال يهدد وجنة التراب التي تحيط بوجنتي
العاشقة: له عين تبكي، وأخرى تنتقل في سرعة
مدهشة بين خلدون وصبي صار - كما أخبركم -
رجلاً.

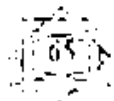
أنا أسما من أوقفت الوند قليلاً، والخراف تتهجن
أهجوية الكلا فأشار له الشيخ الضرير بخلع حذائه
فلما التفتت عيناه لعيني: لي عين مصوبة له
وأخرى تحتوي كل مالك؛ اترجف قليلاً حتى ضحك،
فتبسم مالك، والشيخ الضرير خط على الرمل حروفاً
التقطتها عينا الولد ليخبرني - كما أنبأته القضا -

انت حرم ما ذمت عبي!!!

بانه ليس كل العاشقين يموتون. كان يقرأ في مهد
المراعي ما لا ينطق به سوى العارفين!!!

ذهبنا كبحر وسماء للشيخ الضرير. والخراف تثبت
في هدوء. وعضا رحيمة يهش بها الولد عليها.

كنا - أنا أسما وهو مالك - فلقين نمانا؛ نخاف
موتنا فرياً، كما ماتت العاشقة دون عاشقها. لكنه
الشيخ الضرير كانتا عناه تضحكان ولم يجبنا.
وخلدون يصعد الجبل بأول بناته ليتلقها العاشق
ويخضب وجنتيها بتراب لامن وجنتي العاشقة.
والخراف تبني مساكنها. وطائر الهدهد - أنا من
يحدثكم - رابض على رأس ولد صار رجلاً، له لحية
تشبه جبل النور كثيراً، والشيخ الضرير يقشر ثمرة



رمان فاتنة الحمرة، فتزلق عنها خراف تعرف
طريقها جيداً باتجاه مرغى يقف على أعتابه ولأ
رسول.

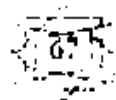
خلدون - أنا مالك من يحدثكم - سأل الشيخ
الضربير: ولماذا هو وليس أنا؟ فرمجر الشيخ -
على غير عابته - قليلاً، وقال هي الخراف من
تصطفى سيدها، لك الأنثى وله القضاء، فاقنع -
إن شئت - بما هو لك...

حدثنا جنينة البحر عن خراف لم يفتنعوا بالنصر؛
ذهبوا باتجاهها فسقطوا نقاع البحر، مما أبكى
السماء - كما يليق بسماء طيبة - والعاشق بعد
أن غاص - في قُبلة أخيرة - بوجنة تراب يكفن

أنت حرّ ما دُمتَ عدى!!!

وجنتي العاشقة ذهب - والشيخ الضريب مُفاضنا
اعطاه ظهره - لقاء البحر في تجرية أولى
للانتحار.

كنا - أنا مالك وهي أسما - نرى الخراف تنتشر في
الأرض والرمان ينفرط عن ثمرته وبدا الكون يحاول
الاتساع مُختبراً قُدرة شيخ ضريب على القبض
عليه. وولدٌ وُلد بصيف سابق بصطفي بعض
الخراف وبعضا غليظة يُذهب بعضها لقاء المُشتمين
وكانت حوراء تقشير تفاحتها.....



انت حرّ ما دمت عدى!!!

9. ثم قصي؛ فتدني!



انت حرّ ما دمت عيدي!!!

أنا الشيخ الضريرُ من يحبّكم: ماتت العاشقةُ
فذهب العاشقُ لها عبز ماء البحر، رفعت راسي
عاليًا، فباعث المسافة بين البحر والسماء، ليحزن
مالك، ولتفضب أسما، كما شاء، لكن لن أسمح
لكونٍ بالفناء.

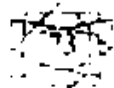
مكتبة
عابث الإلكترونية

كانت ثمرةً ناضجةً تسقط عن شجرة الرمان أنبتت.
وكان خلدون قريباً منها، لكنه الولد الرسول التقطها
قبل أن يمسها التراب، بينما عضلات الوجه لدى
خلدون تستعد لإعلان غضبها، فاجأته يد الولد
الرسول باسطة الثمرة له، ووجه الولد ينفجر
بالحبور.

أنا أسما من تحببكم؛ كاد خلدون أن يرفضها لكنها
- الثمرة - كانت تشبه حوراء كثيراً فالتقطها.
والولد الرسول يريت على كتف خلدون، ويهش
بعصاه على خراف تفتلي ربحه، وجبل النور يثبت
جذوره في الأرض والأولاد يبنون مساكنهم الجديدة
من أخشاب شجرة الرمان الأم.

أنت حرّ ما ذمت عبدي!!!

خلدون جلس بين يدي الشيخ - أنا مالك من
يحدثكم - وبين كفيه ترقد ثمرة الرمان وكان خلدون
يبكي، ودموعه تشبه حوراء كثيرا، ورأيت شهلا
تحاول جرح القراب الذي يدثر العاشقة، وقد صارت
- شهلا - كمجانيب الهوى، ابتسم الشيخ الضريز
وقبل أن يرتد إبهامه؛ كان طائر الهدد يأتي
مصاحبًا للوند الرسول الذي ترك عصاه بين يدي
خلدون، والتقط ثمرة الرمان، وراح يُشكّلها بين يديه
وهو يتمتم بعضا مما علمه - وحده - الشيخ
الضريز، حتى استطالبت الثمرة، واستدارت، ونبت
الشعر بسمائها والأقدام ببحرها، وحوراء تخرج من
زفيرى، فكان أن كاتب الثمرة حوراء، وباب الغار
يستقبل زفافا أسطوريا، وكان قاع البحر يشهد



صراخ المشتتين. وعند الباب منح الولد خلدون
زمانته، وخذلون مهتسما اعطاه العصا مرة أخيرة.

كان الشيخ الضريرُ بأسفل شجرة الرمان يمنح الولد
الرسولَ ورقةً أخرى ضمها للكتاب - أنا الماءُ من
حديثكم- فانطلق الولد للخراف يحنثهم عن كون
يتمدّد بين مالك وأسما؛ إن اقتريا، ستموت الأفلاك
بينهما، وكانا مالك وأسما - هما أصل الماء كبحر
وسماء - يمضيان في البُعد ليقتريا أكثر عند قيامه
أخيرة.

أنت حرّ ما ذمّت عدي!!!

10. سدرَةُ الْمُنْتَهَى



أنتَ حرٌّ ما دُمْتَ عدى!!

كانا - مالك وأسما - حرقاً في كتاب التكوين - أنا
الشيخ الضرير من يقرأ عليكم الكتاب - وابتعدا
بمشيئتي، وبغوايتي ظناً أنهما المترقا.....



كان لقاوننا بعد الغياب - بنت قلبي - أول البشارة،
كنت أعلم - سيد روعي - بارتداد الروح للروح، لم
نكرهك مطلقاً شيخنا الضريز، وطائر الهدهد يلقي
الرسالة، نبئت من أرواحنا الفلك وجبل النور،
تسلبت الخراف الأرض، وشاهدنا العاشقين كظلمين
لنا، استطاعا الزواج - ضد غوايتنا الأولى -
لكنهما ماتا - ضد قانون الروح - وبقينا بجانب
البحر وألق السماء.

الشيخ الضريز - بأسفل شجرة الرمان - وعن
يمينه الولد الرسول وعن يساره خلدون متابطاً كل
حوزاء، وأمامهم جلس الخراف، والأولاد يطلون من
شرفات المنازل، وجبل النور يتكى على البحر

أنت حرّ ما ذمت عدي!!!

ورأسه تغمش وجه السماء، وكان المشئون
بزارون بقاع البحر يستقبلون موتهم الأخير.

أشار الشيخ لشهلا فانت، وقبل أن تتبدل ملامح
خلدون - إنا أسما ومالك من نخبركم - سجت
شهلا بين يدي الشيخ؛ فخلع عن رأسها قرنين نباتا
لها في خريف حالك جدا، فلمعت عيناها كما لم
نشاهدها منذ أربعين ربيعا.

كان الكون/ كوننا يرتعش بما يليق بشتاء دافئ،
والولد يقرأ الصحف كلها، والتراب ينصت له جيدا،
وطائر الهدد يتساقط جناحاه وهو ضاحك، تتأرجح
عيناها بين البحر والسماء.



كان البحر والسماء يقتربان، فأخذنا الولد الرسول
ومن ورائه خلدون - نحن خراف الرب من نحبتكم
- في سعي بين شجرة الرمان المباركة وجبل النور.
وكان اقتراب البحر من السماء يضغط على
أجسادنا، ولم نكن في حالة تسمح بالحزن، نحاول
اللحاق بشيخنا الضرير، الذي صعد لأعلى قمة جبل
النور، وقبض على عصاه بيمناه، ويسراه تقبض
على عيوننا تمامًا. وكنا في عروجنا إليه نأكل ما
تبقي من المراعي الخضراء؛ حتى نستطيع الولوج
نحوه.

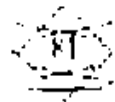
مات الكثيرون - أنا جبل النور من يخبركم - في
درب الوصول لقيمتي، وكانت امرأة عجوز تسأل
خلدون عن معنى الموت، فابتسم الولد الرسول وهو

أنت حرّ ما دمت عدي!!!

بفرد صفحة من كتاب الشيخ، وقال: إن الموت
ميلادٌ مؤجلٌ لكونٍ قائم.

اقتربت السماء والبحرُ أكثر، حتى بدا الكونُ كحدقة
عينٍ تكملُ استداراتها، وكان الحجيجُ لِقَمَتِي غزيرًا،
وجسدي يستقبلهم زرافاتٍ مرجبًا، وأنفاسٌ تخرج في
حشجةٍ أخيرة، وكان زئير المشتتين يرسل حصبًا
على الحجيج، فيردّها الشيخ يطرف عصاه، والولد
الرسولٍ لحيته تسترسل حتى عانقت أرضي.

وصل الحجيجُ لِقَمَتِي بأسفل قدم الشيخ الضرير،
وفصول العام تتناوب على الكون، والولد الرسول
يمسح بعينه كلّ القالمين، وكان خلدون يخشى
الموت، فأشار الشيخ بعصاه نحو حوراء لتستقر
بالجانب الأيمن لصدر خلدون، فشهب وعيناه
تبتسمان، ويداه احتوتا صدره، وأسما كانت تريد أن



تتجب طفلاً وتتأديه باسمي، وكنت أريد طفلةً
وأناديها باسمها، ومات خلدون وبصدره رققت
حوراء، وكانت شهلاً تبكي كثيراً وهي تضع التراب
عليهما، والولد الرسول يقرأ السلام على خراف
الرب، وقال: إن سدرة المنتهى تبدأ عندها الحياة
التي آمن بها مالك وأسماء! نحن أبناؤهم جميعاً،
وهم من منحونا حق التبت على هذا الكون.

الشيخ الضرير حدث الكون عن ولد وينب امتكا
الروح، فكان لهما ما أرادا، وكما اتسعا في البعد
لتزدهز الحقول؛ فعلى الحقول أن تلتئم حتى يهتنا
بالعناق وكان الكون يستعد لأقول غير بعيد.....

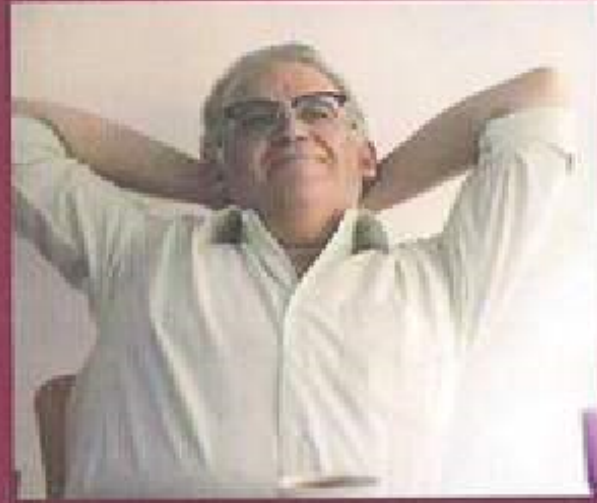
قالت لي أسماء: اقترِبِ اللقاء، وكان أزرقى وأزرقها
يتماهيان، حتى صار البحر سماءً والسماءُ بحراً.

أنت حرّ ما دُمتَ عدى!!!

وقال لي مالك: كيف ستكونين؟ وكان الكون يذوب
بقا - والشيخ أشار بعصاه عاليًا لينهمر الرعد
والبرق، وماء البحر يصعد عاليًا والولد الرسول
يهبط في الغار وحيدًا، والخراف تعاقب عيناها
المساكن، وشجرة الرمان تسقط ثمارها تباغًا حتى
تجذث منها فبث كعروس تنتظر الماء، وكان
قلباتنا ينبضان في عتبٍ يليق بروحينا، ولم يتبق
سوى شيخٍ ضريبٍ في المسافة بين سماء وبحر
سينظبان - وقالت لي أسما: سأشبهك تمامًا.



شيخي، كيف تركتها تحبه هكذا، أوليس
لك سلطان على القلوب؟؟؟ مالك لي أنا وحدي،
رفضت - وأنت تعلم - الريح لأجل عينيه، فهل
سيرفض حوراء لأجلي؟؟؟؟؟



لوحة الغلاف مهداة من الفنانة: صابرين مهران

محمد علي إبراهيم. مهندس. 17 مايو 1975 م. أعمال مطبوعة :
مجموعة تاريخ لا يروق لكم - مجموعة طعم البوسة - رواية الجدار
الأخير - ديوان صحاب - ديوان مواويل الثرى - قصائد الموت.
أعمال تحت الطبع :

رواية الولد كوربا

للتواصل عبر الإيميل والفيس بوك :

ma5696115@yahoo.com

ISBN 9789776512146



9 789776 512146

